

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما نهتمُّ مضالمته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية ما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعا لاطلاوة المجدد وفوائد المنعبد

تاريخ المسيح بقلم رنان

﴿ تابع للمقالة السابقة في الجزء الثاني ﴾

يمتث فيه وصف الاممكة التي ربي فيها السيد والوسط الذي عاش فيه والمبادئ التي كانت تخرج يومئذ في نفوس اليهود والحركة الاجتماعية العظيمة التي حدثت يومئذ وغيرها من النوائد التاريخية والاجتماعية

الفصل الاول . وطن يسوع

وُلد السيد في الناصرة . وكانت قبله بلدًا خاملًا لم تشتهر بشيء ولم يرد لها ذكر لا في التوراة ولا في النبوذ ولا في مؤلفات يوسفوس . ولذلك كان معاصروه يسمونه « الناصري » وقد كانت ولادته في عهد اغسطس قيصر وربما كان ذلك في سنة ٧٥٠ من بناء رومه اي انه ولد قبل السنة الاولى من التاريخ المسيحي الذي اصطلحت عليه اليوم الامم المسيحية بيضع سنوات

ومن الراجح ان الناصرة لم تكن في زمن ولادته تفرق كثيرًا عنها اليوم . فان الهواء والجو لم يتغيرا في جميع بلاد سوريا عما كانا عليه يومئذ ولذلك لم يتغير شيء على الارجح من طرق بناء منازلها واتجاه دورها وشق شوارعها . ففي تلك الشوارع المفروشة بالحجارة وتلك الساحات الصغيرة التي هي ملتقى شوارع كثيرة تفصل الاكواخ والمنازل بعضها عن بعض كان يلعب الصبي يسوع . ولا ريب ان منزل يوسف كان شبيهًا بتلك الغرف الصغيرة التي لا يدخلها النور الا من بابها والتي تُتخذ اكل شيء حتى الطبخ والنوم . ولا فراش فيها غير « حصيرة » على اطرافها بعض مساند (مخدات) موضوعة على الارض ووعاء او وعائين من الفخار وخزانة مدهونة

وكانت الناصرة بلدة صغيرة قائمة في طية ارض منبسطة على متن بعض الجبال . اما سكانها فانهم يبلغون اليوم (في زمن رنان) اربعة الآف نسمة فكأنها الناصرة القديمة لان المؤرخ يوسفوس يقول ان اصغر قرى الجليل كان عدد نفوسها خمسة الآف نسمة وهو قول لا يخلو من مبالغة (١) والبرد في الناصرة شديد في زمن الشتاء ولكن الهواء جيد جداً . وكانت الناصرة في ذلك الزمن شبيهة بكل قرى اليهود يومئذ اي انها كانت مؤلفة من منازل مبنية من غير هندسة ولا نظام ومنظرها شبيه بمنظر القرى الاسيوية . وربما لم تكن منازل الناصرة تفرق عن المنازل الحجرية المربعة القائمة في جهات لبنان العامرة والتي اذا اضيفت اليها اشجار الكرم والتين المغروسة بجانبها كان لها منها منظر رائع . اما المكان الذي بُنيت فيه الناصرة فانه مكان شائق وليس في الدنيا كلها مكان افضل منه للتأمل في السعادة والراحة . ولا تزال هذه المدينة الى اليوم مقاماً جميلاً . اما سكانها فهم قوم الفوا اللطف والبشاشة . وحداثتها باردة خضراء . وقد وصف « انطونين مارتير » الناصرة في اواخر القرن السادس عشر فشبه ارضها بارض الجنة من فوط خصبها . ولا يزال في غربي المدينة اودية خضيرة ينطبق عليها وصفه . اما العين التي كانت مركز الحركة في هذه المدينة وكان حولها السرور شاملاً فقد هُدمت ولايجري الآن من نبعها سوى ماء كدر . واما جمال النساء الناصريات اللواتي يجتمعن حولها في المساء — ذلك الجمال الذي كان مشهوراً عنه في القرن السادس عشر بانه هبة للناصريات من مريم العذراء فانه لا يزال يترقق على وجوههن . فهناك الشكل السوري الجليل في اتم خلقته . ولا شبهة في ان العذراء كانت تقف في صباحها بين اولئك النساء حول العين ومعها اناء الماء لتسقي منها . وقد قال انتونين مارتير ان نساء اليهود يكرمون المسيحيين في هذا المكان مع انهن يكرهنهم كرهاً شديداً في غيره وذلك لان هواء وطن السيد لطف اخلاقهن . واذا نظرت في البغض الديني وجدته في هذا المكان اخف منه في سائر الامكنة

(١) * الجامعة * ان رنان يصف الناصرة هنا كما شاهدها منذ ثلاثين عاماً اما اليوم فقد قام فيها وفي جميع نواحي فلسطين مبان جديدة وزاد عدد السكان ونشأت محلات زراعية امريائية ومانية جعلت كثيراً من اراضيها القراء حداث غناء . ونوجه انظار حضرات القراء في الناصرة الى ما يرد عن وطنهم في هذه المقالة ونتمنى بعد ما ذكره رنان عنها ان يتحفنا احدهم بوصف الاماكن التي يمر ذكرها فانه يحسن وصف تلك الاماكن الكريمة من فلم « ناصري »

واما منظر الافق من المدينة فانه قصير ضيق ولكنك اذا صعدت الى الآكام المشرفة على المدينة انبسط امامك منظر جميل يسحر الالباب . فانه من الجهة الغربية يظهر لك جبل الكرمل ممتداً الى البحر وداخلاً فيه وبليه غبره من الجبال بينها وادي الاردن وسهول بربا المرتفعة . اما في جهة الشمال فانك ترى جبال صند متجهة نحو البحر وهي تستر عنك عكا وتظهر لك خليج حيفا

فهذا كان افق يسوع . هذا كان في صباه المنظر الدائم امام عينيه . هذا هو مهد ملكوت الله وسرير الديانة المسيحية . فاذا بقي العالم مسيحياً في مستقبل الزمان وصار اكثر احتراماً لاصول الدين واشد رغبة في استبدال الاماكن المقدسة المشكوك فيها باماكن حقيقية فما عليه الا ان يبني كنيسة على هذه الآكام التي كان يسوع يجلس عليها ويشاهد العالم منها . هناك يجب ان تُقام الكنيسة الكبرى التي يجب ان يحجّ اليها المسيحيون من جميع افطار العالم . هناك حيث يرقد يوسف النجار والوف من ابناء الناصرة المنسيين يحق للفيلسوف ان يقف ويتأمل في مجرى حوادث العالم ليعزي نفسه عما يصادفه الانسان في هذه الحياة من الفشل والخيبة في اعز ما يكون لديه وليتحقق ان العالم سائر الى غرض الهي لا يصرفه شيء عنه مهما قام في سبيله من المصائب والعثرات .

الفصل الثاني . تربية يسوع

تلك هي المناظر الطبيعية الجميلة التي ربي يسوع بينها . ولقد نشأ يسوع في قريته وتعلم الكتابة والقراءة (انجيل يوحنا الاصحاح ٨ العدد ٦) وكان معلم المدرسة في القرى اليهودية يُدعى « الخزان » او القارئ في المعبد . ولا يحتمل ان يكون السيد قد تعلم اللغة اليونانية في صباه وانما كانت لغته اللغة السريانية ممزوجة بالعبرانية وهي اللغة التي كان يتكلمها اهل فلسطين في ذلك الزمان . اما اللغة اليونانية فقد كانت محرمة على اليهود وقد حرم بعض رؤسائهم من تعلمها فقال « ان من يعلم ابنه علوم اللغة اليونانية ومن يربي الخناز يرسو في النجاسة » وسئل احد رؤسائهم في اي وقت يجوز تعليم العلوم اليونانية للاولاد فاجاب « يجوز ذلك في كل وقت غير الليل والنهار لانه مكتوب انه يجب درس الشريعة في الليل والنهار » فكانه اجابه لايحوز درسها . ومع ذلك فقد كان بعض اليهود يدرسون العلوم اليونانية ويحاولون ادخالها الى الاداب اليهودية . واشهرهم نقولا داماس او الدمشقي الذي كان اشهر علماء عصره ويوسفوس الذي قال عن نفسه انه مستثنى بذلك

عن باقي اليهود . ولقد نشأت في مصر طائفة من علماء اليهود كانت تقتبس العلوم اليونانية وتنشرها ونشأ فيها الفيلسوف العظيم فيلون الاسكندراني ولكن يهود فلسطين كانوا يعدون هذه الطائفة مفصلة عنهم ولقد كان انفصالها تاماً حتى انه لم يرد لها ذكر في التلمود . وقد كان لزعميها فيلون الذي اشرنا اليه تعاليم شبيهة بتعاليم السيد من حيث الدعوة الى اله المحبة ومحبة الله والاحسان والراحة في حضن الله مما يدل على استعداد الافكار في ذلك الزمان لهذه المبادئ السامية

واذا كان السيد لم يقف في صباه على الفلسفة اليونانية وعلومها فلا ريب انه وقف على فلسفة همل الفيلسوف اليهودي الذي عاش قبل ظهوره بمحسين عاماً معيشة الفقر والضعف ومائة الاخلاق وكان يعارض الكتبة والفريسيين

الفصل الثالث . الوسط الذي ربي فيه

اما الوسط المضطرب الذي ربي فيه السيد فلا مثيل له في الاضطراب في تاريخ العالم غير الوسط الذي نشأت فيه الثورة الفرنسية . فان الشعب اليهودي صار منذ سبي بابل مهزوماً مضطهداً فانتبهت قوى نفسه كلها واتجهت الى غرض واحد وهو الانتقام من اعدائه وبسط جناح سلطته على جميع افطار العالم طبقاً لما كان يحى في نبوءات انبيائه . ولو كان الشعب الاسرائيلي يعرف التعاليم اليونانية التي كان من مقتضاها اعتبار الانسان عنصرين مستقلين احدهما الروح والاخر الجسد وانه اذا تعذبت الروح في هذه الحياة فانها تستريح في الحياة الثانية لسرى عنه شيء كثير مما كان يجده من عذاب النفس واضطراب الفكر بسبب ذله وخضوعه مع ما كان يراه في نفسه من الامتياز الادبي والديني عن الشعوب التي كانت تذله . ولكن الفلسفة اليهودية كان من مقتضاها الساطة الفعلية في هذا العالم نفسه . فانه يؤخذ من اقوال انبيائهم وشيوخهم ان الصالحين يعيرون في ذاكرة الله والناس الى الابد وهم يقضون حياتهم قريبين من عين الله ويكونون معروفين عند الله . اما الاشرار فلا . هذا كل جزاء اولئك وعقاب هؤلاء . ويزيد الفريسيون على ذلك ان الصالحين يبشرون في هذه الارض يوم القيامة ليشاركوا في ملك المسيح الذي يأتي لينقذ الناس ويصحبون ملوك العالم وقضاته وهكذا يتبعون بانتصارهم والتخذيال الاشرار اعدائهم

فلما انتصر قورش الفارسي وفتح بابل خيل لليهود انه قد افتتح في وجههم باب جديد وعاد اليهم ملكهم فتآخى كهنة الفرس وكهنة اليهود . ولكن السلطة اليونانية والرومانية لم

تلبث ان دخلت الى آسيا بقوة وشدة فانقطع امل بني اسرائيل من عودة الملك اليهم فعادوا الى احلامهم الماضية من دعوة مسيا لانقاذهم واعادة ملكهم وتحقيق نبوءات انبيائهم . وقد اشتد ذلك عليهم بعد خروج البلاد من يد اسرة الملك هيرودس الى يد الرومانيين . فان هذا الملك العظيم الذي يشبهه بعضهم بسليمان كان قد ولي ابناءه الثلاثة جميع بلاد فلسطين تحت سيادة الرومانيين فكان شانهم معهم شان امراء الهند المستقلين اليوم . فكان ابنه (انتيباس) والياً لبلاد الجليل وبيريا وكانت الناصرة تابعة لولايته . وابنه فيليبوس والياً لغولونيتيا وباتانيا . وابنه ارخيلالوس والياً لاورشليم . وقد توفي هيرودس الكبير في نفس السنة التي ولد المسيح فيها . وبعد انقضاء عشر سنوات على وفاته عزل اوغسطس قيصر ارخيلالوس ابن هيرودس والي اورشليم لانه كان ضعيف الرأي السيء . الادارة ثم ضم كل ولاية يهوذا الى السامرة وادوم وجعلها تابعة لاسوريا حيث كان يقيم بوليبوس سوليبسيوس كبير ينيوس احد اعضاء مجلس الشيوخ الروماني نائباً لامبراطورياً من قبل القيصر وحاكماً على تلك القطعة كلها . ومن هذا الحين قضى على استقلال مملكة اورشليم . فزاد ذلك في بأس اليهود واثار ثائرهم لانهم كانوا يعتقدون الرجس والتجاسة في التدين الروماني الذي تسلط عليهم . وقد ولي اورشليم اولاً كورونيوس ثم جاء بعده ماركوس امبيفوس فانيوس فروفوس ففالاريوس كراتوس . ووليها بعدهم في عام ٢٦ للميلاد بنطس بيلاطس صاحب الشأن في الحوادث المسيحية الاولى . وكان هؤلاء الولاة تابعين لوالي سوريا ولا شغل لهم غير اخماد نار الفتنة التي كان يضرهمها اليهود تحت اقدامهم

ذلك ان غلاة الدين من انصار شريعة موسى قاموا في ذلك الزمان يعارضون السلطة الرومانية فكانوا يكسرون النصور التي هي اعلام رومه ويحطمون التماثيل التي اقامتها اسرة هيرودس لانها في نظرهم آثار وثنية لا سيما وان الذين نصبوها لم يراعوا في صنعها الشريعة الموسوية . وكان الموت عقاب كل من يقدم على اثارة الفتنة ومقاومة السلطة ولكن اولئك المتحمسين في دينهم كانوا يستعذرون الموت في الدفاع عن شريعتهم . فنشأ عن ذلك ظمأ الى الموت والاضطهاد سببه الرغبة في الدفاع عن الشريعة . فالف اثنان من علماء الشريعة يدعيان يهوذا بن ساريقا ومتياس بن مرغلوثه حزباً لمقاومة « اصحاب البدع » الرومانية والحملة على تلك الهيئة فامسكهما الرومانيون وعذبوها وقتلوهما ولكن حزبهما بقي بعدهما . وكان النفوس كانت قد بلغت بهذه الاضطهادات اقصى درجات الهياج والاضطراب فظهرت يومئذ شيعة (الكانامين) او « القتلة الدينيين » الذين كانوا

قد آلوا على انفسهم ان يقتلوا كل رجل يحبط من شان الشريعة الموسوية امامهم . وظهر ايضا اناس يدعون صنع العجايب وشفاء الامراض فكان الشعب يقبل عليهم لان الافكار كانت مستعدة بالتحمس الديني للتصديق كل ما يجيء من فوق الطبيعة

ومن الحركات التي كان لها تاثير عظيم على سير الحوادث في ذلك الزمان حركة يهوذا الغولونيتي او الجليلي . فان كيرينئوس امر في السنة السادسة من الميلاد باحصاء عدد نفوس اليهود . وكان اليهود لا يجهلون ان الاحصاء مقدمة لوضع الضرائب على السكان ولقد اشتد هياجهم على الملك والنبي داوود يوم امر باحصاء سكان مملكته وتهده الشيوخ بغضب الله . وذلك لانهم يعتبرون دفع الضرائب ضرباً من ضروب الكفر بالله لان الله هو سيد الامم وحده واليه وحده تدفع الضرائب لا الى ملوك الوثنيين . ولذلك كانوا يعتبرون اموال الخزانة العمومية اموالاً مسروقة كما جاء في تلمود بابل

فلما درى اليهود بامر كيرينئوس بالاحصاء بلغ الهياج اشده فقام منهم رجلا ن احدهما يدعى يهوذا وهو من قرية جماله القائمة في شرقي بحيرة طبرية وثانيهما فريسي يدعى صادوق ينكران دفع الضرائب ويحرضان الناس على الامتناع من دفعها . وكان من مبادئها ان حرية الانسان افضل من حياته فاذا كان احد الحكماء يزعم انه «سيدي» وولي امري ويوجب عليّ دفع ضريبة له فالاولى بي ان اموت من ان اعترف بسيادة عليّ غير سيادة الله . وقد فشا امر هذا الحزب في اليهودية ولكن يوسيفوس لم يذكر عنه شيئاً كثيراً مخافة ان يلقي التهمة على ابناء وطنه انما وضع يهوذا الغولونيتي عند كلامه عنه في جملة فلاسفة اليهود واعتبره مؤسساً لمبادئ رابع غير مبادئ الصدوقيين والفريسيين والايسنيين مع ان فكرته بسيطة لا تستوجب كل هذا الاهتمام . وذلك مما يدل على انه كان يهوذا هذا مطامح ومطامع سياسية غير التي تقدمت . ولا يبعد ان يكون قد جعل نفسه رئيس حزب غرضه الاشتغال بما يخص مجيء المسيح المنتظر . وقد لقي يهوذا الغولونيتي الموت جزاء هذه الثورة ولكن حزبه بقي حياً بعده . ويحتمل ان يكون السيد قد رآه وشهد نهضته ولكن المحقق انه قد وقف على مبادئه . ولذلك يقول بعضهم انه لما جاء قوم الى السيد ليخبروه وسألوه عن الجزية فاجابهم «اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» كان يريد بذلك ان مملكتي غير مملكة يهوذا الغولونيتي واصلاحي غير اصلاحه

وهكذا كانت بلاد الجليل في ذلك الزمان عبارة عن تنور حام تضطرب فيه العناصر المختلفة . وكانت السلطة الرومانية لا تطأ على مشيري الخواطر الا متى استفحل امرهم لان

الرومانيين كانوا يمنحون محكوميههم من الحرية أكثر مما يمنح الاوروبيون محكوميههم في هذا الزمان . وحسبنا دليلاً على ذلك ان البوليس الروماني لم يعترض السيد المسيح في اثناء تعليمه الا حين رفعت عليه الشكوى من اليهود . فكانت هذه الحرية باعثاً على زيادة الافكار اليهودية انتشاراً . اما فيما يختص بالافكار المسيحية فيمكن قسمة اليهودية الى قسمين . قسم الشمال الذي فيه الجليل ومن ضمنه الناصرة والقسم الثاني اورشليم . على ان كل الاعمال الحسنة والمبادئ السامية صدرت من القسم الاول وهو الشمال . اما اورشليم فكانت متمسكة بالتقاليد القديمة كل التمسك . من الشمال خرجت الكنعانية المتواضعة ومريم المجدلية ويوسف الحنون والعذراء مريم . ولولا الشمال لم تسلط اورشليم على العالم

وكانت الطبيعة في تلك الجهات الشمالية في غاية الجمال ومنتهى الرونق فكانها خلقت لتلي على الناس وتعكس اليهم نور المبادئ الادبية السامية . فانه بينما ترى نواحي اورشليم صلعاء جرداء تقريباً ترى الجليل ونواحيها في غاية الخصب والاقبال . فارضها تكتسي في شهري مارس وافريل (اذار ونيسان) بساطاً جميلاً منتظماً من الازهار الملونة بالوان لا مثيل لها . وحيواناتها صغيرة ولكنها في غاية اللطف والدعة . وربما وقعت بعض طيورها على ساق عشب صغيرة فلم تململها من خفتها . بل ربما دنت منك حتى صارت بين قدميك تقريباً وذلك لالفتها وعدم نفورها . وقد ترى في السواقي سلاحف ذوات اعين قوية النظر لطيفة وبطاً ترى عليه لوانح الحياء والرصانة معاً يترك كل خوف ويدنو منك كثيراً . ولست تجد في جميع بلاد العالم بلداً جباله اجمل من جبال تلك الجهات . ولا ريب ان يسوع كان يحب الجبال من حبه لجبال وطنه . فانه كان كثير الصعود الى الجبال وقد اتى عليها اسمى خطبه وعمل فيها اعظم اعماله وكان اذا صعد اليها تغيرت هيئته وازدادت نفسه الكريمة بلاغة وحكمة

ففي وسط هذه الطبيعة الضاحكة بدأ يسوع يعلم فكان تعليمه عبارة عن نزعة دائمة وسرور دائم . ويقال انه كان يسير احياناً الى القفار المحرقة التي تلي بلاد الجليل وقيم فيها للتأمل والافتكار . ولكنه هنالك كان لا يجد الا اله ايوب اله القوة والصرامة والعقاب . اما حين رجوعه الى الجليل فانه كان يجد تحت سائها وسط اكامها الخضراء ومروجها النخيل اله المحبة والسلامة اباه وابانا الذي في السموات . وكان في كل عام يحج مرة الى اورشليم مع حجاج الناصرة وهناك يخلط بشعبه ويقف على ما كان يجول فيه نفسه . فكان الحج كان عبارة عن النقاء ابناء الشعب الاسرائيلي في اورشليم مرة في كل عام

الفصل الرابع . بدء تعليمه

ولما مات يوسف انتقلت مريم العذراء بولدها الى قانا الجليل . وربما كان اصل العذراء نفسها من قانا هذه . اما هذه القرية فقد كانت قائمة على مسيرة ساعتين ونصف من الناصرة . وفيها صرف المعلم العظيم قساً من شبابه وظهرت اول اعماله وكان السيد نجاراً كيوسف ولم يكن ذلك مما يحيط شان الانسان في ذلك الزمان لانه قد جرت عادة اليهود يومئذ بوجوب تعليم كل منقطع الى الشؤن العقلية صناعة ما . ولذلك كان كثيرون من اكابر علماء اليهود يحسنون الصنائع اليدوية مثل «ربي يوهانان» الذي كان اسكافاً و«ربي اسحق» الذي كان حداداً والرسول بولس الذي كان صانع بسط وسجادات . ولا يعلم احد كيف ابتدا يسوع تعليمه ولكن الثابت انه اتخذ فيه طريقاً جديداً . وقد راينا ان يهوذا الغولونتي كان يفضل الموت على ان يلقب احداً (سيد الامة) غير الله وحده ولكن يسوع ترك لقب « السيد » لمن شاء ان يلقب به ولقب الله بلقب احلى منه اعني : ابانا . وعلى هذا الاساس بنى تعليمه السامي الذي يجعل البشر اخوة على الارض والخالق في السماء اباً لهم رؤوفاً بهم شفوفاً عليهم تواباً رحيماً يطلع شمسهم على الخطاة وعلى الصالحين

ولم يكن يسوع يعلم ضد الشريعة الموسوية ولكنه كان يظهر من كلامه عنها انه كان يراها غير كافية وما ساء منها وضع الانسان وسيطاً بينه وبين الله واشتغاله باعراض الامور عن جواهرها ولذلك كان عدواً لدوداً للتفاصيل الدينية التي كانت تحقق الاصل وكان ضد الكهنة الذين لم يكن لهم شغل غيرها

الفصل الخامس . يوحنا المعمدان

وفي هذا الوقت انتشرت في جميع انحاء فلسطين شهرة رجل عظيم كان يعيش في البرية مرتدياً بجلود الحيوانات ومغتذيّاً من العسل والحجراد البري . وهذا الرجل هو يوحنا او يوحنا الملقب بالمعمدان . وكانت اقامته على شاطئ نهر الاردن في القفار التي تليه . وقد بلغت شهرته اعظمها في سنة ٢٨ من الميلاد المسيحي اي بعد انقضاء ١٥ عاماً على ملك طيباريوس . وكان يوحنا مهيباً كبير النفس جريء القلب فكان يذم الكهنة الاغنياء الذين يحبون المال والفريسيين والكتبة ويدعو الفقراء والضعفاء الى التوبة للنجاة من الضيق والذل

ولان ملكوت الله قد صار قريباً . فتهاقت الشعب عليه ليعمده في الاردن بحسب طريقتهم الجديدة وكان في جملة الذين قصدوه الشاب يسوع وتلامذته الاولون (وقد تمى المؤلف لو لم يكن السيد قد اجتمع بذلك المعلم الكبير لاسباب نضرب صمخاً عن ذكرها كما صنعنا بكثير غيرها) . قال وقد اقام يسوع حينئذ بازاء يوحنا المعمدان ثم دخل الى البرية القريبة من هناك ليفتكر بما كان في نفسه وما كان يقوله يوحنا . وكان مشهوراً لدى اليهود حينئذ ان تلك البرية مسكن للابالسة والشياطين فقالوا ان ابليس جاء يجربه . وبعد اقامته في البرية اياماً قضاها في التأمل والابتكار خرج منها فسمع ان الحكومة قبضت على يوحنا المعمدان وزجته في السجن فعاد بتلامذته الى الجليل لئلا يتهم بالاشتراك في حركة يوحنا . اما سبب القاء القبض على يوحنا فقد ذكره المؤرخ يوسفوس بالتفصيل وهذه خلاصته

لما كان يوحنا في الجهات التابعة لبيلاطس لم يسه لبيلاطس بسوء على ما يظهر ولم يضايقه . ولكنه لما اقام في جهات الاردن واخذ يعمد ويعلم وتحمس الشعب لكلامه البليغ وسلطته على النفوس حتى لقد حسبوه ايلها عاد ونشر — خشي انتيباس حاكم تلك الجهات عاقبة هذا الامر لان الحركة السياسية كانت ظاهرة في اقوال يوحنا من ان اكثرها كان موجهاً الى ذم ملوك العالم وحكامه . فبقي انتيباس يراقبه حتى حدث له معه حادث شخصي حمله على سجنه .

وذلك انه كان لهيودس الكبير حفيذة تدعى « هيروديا » وكانت طامعة فاسية محبة للخلاعة والسلطة فازوجها جدها هيودس الكبير من عمها هيودس بن مريان وربما كان ذلك بغير رضاها لان زوجها كان محروماً من حق الملك والولاية . فاصبحت هيروديا بذلك احط من نساء اقربائها شأنًا لان زوجها ساقط الحق لا يملك ابداً وهي لطمعها كانت تريد الوصول الى الملك معها بذلت في سبيله . وكانت هيروديا جميلة فعزمت على اتخاذ انتيباس الذي تقدم ذكره وسيلة الى غرضها . وكان انتيباس هذا مقترناً باميرة عربية وهي ابنة الحارث ملك بتره وامير القبائل الضاربة ما وراء يبربا بملكة انتيباس . فسعت هيروديا لدى انتيباس في ان يطلق امراته العربية وهي تزوج به فرضي انتيباس بذلك من حبه لها . فدرت بهذا الامر زوجته العربية فعزمت على الفرار لجأته زوجها واخبرته انها تريد السفر الى ماكور وهي قلعة حصينة على حدود مملكة ابيها وذلك للسياحة قليلاً في اراضيها فاجابها زوجها الى ذلك وبعث معها جنداً لحراستها . اما ابوها فقد كان أعداء لها وسائل الفرار من قلعة ماكور على يد القبائل التي كانت ضاربة هناك على الحدود

فاخذت تنقل من يد قبيلة الى يد قبيلة تليها حتى اوصلوها الى قاعدة مملكة ايها . فافترن حينئذ انتيباس بهيروديا وكان الزواج بالاقارب الى هذا الحد محرماً عند قدماء اليهود وقد سبق لاسرة هيرودس مثل ذلك لان اليهود كانوا لا يزوجونها ولا يتزوجون منها لكرهتهم لها وذلك مما كان يحملها على التزاوج فيما بينها

فلما انتشر خبر زواج انتيباس بهيروديا سخط قدماء اليهود حفظ التقاليد القديمة ونادى يوحنا المعمدان ان هذا الزواج غير جائز . فامر عند ذلك انتيباس بالقبض عليه وسجنه . فسجنوه في قلعة ماكو التي تقدم ذكرها وكان انتيباس قد استولى عليها بعد فرار زوجته العربية منها

الفصل السادس . التعاليم المسيحية

وكان سجن يوحنا في السنة التاسعة والعشرين من ولادة يسوع ولما عاد يسوع من جهات الاردن اشتدت سلطته على الشعب وعلى تلامذته فاخذ يعلمهم ويعظمهم . وقد وضع في تعاليمه اساس فلسفة جديدة . فانه قضى باحترام السلطة والملوك اذ اوجب دفع الجزية الى قيصر ولكن هذا الاحترام كان « سطحيًا » ومقروناً بشيء من التهمك . وذلك ان الملوك واصحاب السلطة لا سلطان لهم على نفوس الناس . وليس الحرية والحق من شؤن هذا العالم المملوء بالشور بل من شؤن العالم الثاني فليس ثمة ما يوجب كل هذا الاهتمام بشؤن هذا العالم بل يجب احتقار الدنيا وملاذها وتوجيه قوى النفس كلها الى الحياة الثانية . وبهذا التعليم وضع للنفوس في هذا العالم اساس حرية جديدة مستقلة عن كل سلطة وجعلها مستريحة هادئة مهما عصفت بها عواصف المصائب والاحزان . ولا ننكر ان بعضاً من فلاسفة اليونان كالزينيون مثلاً استطاعوا انشاء هذه الحرية في نفوسهم وعاشوا بها احراراً في وسط الظلم والاضطهاد اذ لم يكونوا يعيئون بمصائب او يبالون بالهم ولكن لم ينقطع احد منهم عن هذا العالم وبحسب الدنيا ووطناً وفتياً له والآخره الوطن الحقيقي كما كان يحسب ذلك المسيحيون

ومع ذلك فربما لم يسلم هذا التعليم من اعتراض قوي . وهو ان وجوب اعطاء ما لقيصر لقيصر وما لله لله قد يكون اقوى وسيلة لمساعدة الظالم واحتمال نير المظالم وفي ذلك ما فيه من انتشار فساد الاحكام والرضوخ للحكام الظالم لانه يقضي باحترام كل سلطة تقوم ولو كانت جائرة فاسدة . ولذلك لا اخطئ اذا قلت ان الديانة المسيحية قد اضعفت من هذا

الوجه واجبات الوطني لوطنه وساعدت في اسلام العالم الى السلطات الجائرة . ولكنّ ما انشأته من حرية النفوس في العالم وجعلها المسيحيين الاولين في القرون الثلاثة الاولى جمعيات حرة في وسط الاضطهاد لا حاجة بها الى السياسة ولا دخل لها فيها قد مما صنعتها بالفضائل السياسية والمدنية .

فالذي امتازت به تعاليم المسيح انما هو سموها عن العالم وشؤونه وغلوها في جو الفضيلة والكمال البعيد . وما الحكومات بموجهها سوى قوات مادية ارضية لا قدر لها ولا قيمة . وهي شديدة على العظمة والعطاء والغنى والاعنياء . ولكن اذا كان يسوع قد حارب اولئك ومولاه فما حاربهم ليصرف غناهم وعظمتهم الى غيرهم ولكن للاشاة تلك العظمة وهذا الغنى لانها اصل كثير من الجرائم والشور . وكان اذا اخبر تلامذته بانه سيكون له شان مع الشرطة تكلم عن ذلك بلهجة تدل على انه لم يكن يحسب نقيصة ولا عاراً الوقوف لدى الشرطة والذهاب للمحاكمة . ولم يوصّر تلامذته قط بمقاومة الشرطة ومقابلة القوة بالقوة لانه كان يعلم ان الشر لا يقاوم بالشر وان الانسان لا يتغلب الا بالاتضاع والمسألة وأنكار الذات والعذاب . وهذا الفكر فكر تعذب الانسان واحتمل عذابه ليقوى به على القوة المادية التي تعذبه فكر سام خاص بيسوع وحده

ولكن اذا كان العطاء والكبرياء والاعنياء والكرسيون والكنيسة لا يدخلون ملكوت الله لانهم مشتغلون عنه بما في ايديهم فمن يدخله؟ يدخله ابناء الشعب والمتواضعون والضعفاء والفقراء والنساء والاولاد . ومن ينشأ ملكوت الله اذا كان اولئك الكبرياء والاعنياء يبعدون عنه ولا يسمعون لمن يدعوهم اليه ؟ ينشأ بهؤلاء الضعفاء والفقراء والنساء والاولاد . بهم يتغير وجه الكرة الارضية . بهم تحدث ثورة عظمى في العالم . وهذه الثورة تضع الكبار وترفع الصغار وتطأ على الجباه العالية

الفصل السابع . في كفر ناحوم

وبعد مدة انتقل يسوع الى كفر ناحوم واقام فيها وكان عمره ٣٠ عاماً . ولم يكن قبل هذا الحين قد علم تعالماً عمومياً ولكن خصوصياً اما الآن فانه اخذ في التعليم العمومي جاءلاً كفر ناحوم مركزاً لتعليمه ووطناً ثانياً له . وكفر ناحوم هذه مشقة من كلمتين (كفر) (وناحوم) ومعناها قرية ناحوم وكانت قبله قرية خاملة كائنات لم تشتهر بشيء ولم يرد لها ذكر في كتب يوسفوس الا مرة واحدة

ولكنها لم تكن المقصودة بهذه الاشارة بل كانت المقصودة بركة ماء بقرها وهذا يدل على شدة خمولها قبل يسوع لان بركة الماء كانت اشهر منها . وكانت كفر ناحوم مبنية على الطريقة اليهودية اي انه لم يكن فيها شيء من آثار المدينة الرومانية الشائقة التي اقامتها اسرة هيرودس في نواحي فلسطين كالتماثيل الرائقة والابنية الفخيمة التي لا يزال رجال الآثار يعجبون بها الى هذه الايام . وقد سماها اليهود بعد المسيح « مدينة المينيم اي الهراطقة » يعنون المسيحيين

وكان سكان تلك البلاد الجميلة يجتمعون مرة في كل اسبوع وذلك في يوم السبت للصلاة ومطالعة كتبهم الدينية . وكان اجتماعهم في كل قرية في مكان يسمى (مكان الاجتماع) او معبد . وكان هذا المكان عبارة عن قاعة مربعة الزوايا قائمتها وهي مزينة على الطريقة اليونانية اذ لم يكن لليهود طريقة خاصة . ولا يزال في نواحي الجليل الى هذه الايام كثير من بقايا المعابد اليهودية القديمة . وقد كان يوضع في داخلها مقاعد للجلوس ومنبر للقراءة وخزانة لوضع الكتب المقدسة . وكانت هذه المعابد نقطة عمومية يجتمع فيها اليهود مرة في الاسبوع كما تقدم لقراءة الشريعة واقوال الانبياء . وبما انه لم يكن لليهود في خارج اورشليم كهنة فقد كان لكل واحد الحق في ان يصعد الى المنبر ويقرأ للناس ويفسر القراءة لهم كما يريد . (ومن هنا يظهر ان الانجيليين) لما ارادوا ادخال البساطة الى الصلاة المسيحية عادوا الى عادة اليهود القديمة) وكان لكل واحد من الحاضرين ان يعترض على القارئ وتفسيره وذلك مما كان يجعل هذا الاجتماع عبارة عن مجمع حر يتبادل اعضاؤه آراءهم وافكارهم . وكان لهذا الاجتماع رئيس وشيوخ وخزان وهو القارئ وقد تقدم انه المعلم ورسول وهم مراسلون او سعاة يستخدمهم رجال المعبد وشماس او حافظ الاشياء المقدسة والمعني بها . وبذلك كانت المعابد اليهودية في فلسطين شبيهة بمجموعات صغيرة مستقلة . وكان لها نظام شامل لكثير من شؤون حياة اليهود حتي انها كانت تصدر قرارات بشأن بعض الافراد وتنذرها فيهم على يد الخزان . وكثيرا ما كان في جملة هذه القرارات العقاب بالضرب . على ان هذه المعابد المنظمة التي كانت منتشرة في جميع انحاء فلسطين هي التي حفظت التقاليد اليهودية منذ الوف من السنين واصلتها الى هذه الايام دون ان يؤثر فيها ما حل باليهود من الاضطهاد في اثناء القرون الطوال الماضية . وكان الجلوس في كرسي في مقدمة الجالسين دليلاً على امتياز الجالس بالغنى او بالقوى . وكان المنبر خراً يصعد اليه كل طالب فكان ذلك باعناً عظيماً على تسهيل نشر الآراء

الجديدة . وهذا مما سهل يسوع اظهار تعاليمه

فانه لما اراد القراءة والتعليم اول مرة في المعبد صعد الى المنبر فقدم له الخزان الكتاب المقدس فقلبه يسوع وهو واقف امام الحاضرين رابط الجاش تارة ينظر اليهم بعينيه المبهيتين الخلوئين وتارة ينظر الى الكتاب . ثم اخذ يقرأ ويفسر . ولكن تفسيره كان مختلفاً عن تفسير باقي القراء ونفسه جديد على جمهور السامعين . وبما ان الفريسيين كانوا قليلي العدد في جهات الجليل فكان ما لقيه منهم من المعارضة في المرة الاولى خفيفاً جداً ولكنه لو ابتدا تعليمه في اورشليم لما استطاع ان يعلم وقتاً طويلاً بل كان الفريسيون وغلاة الدين اوقفوه عند الخطبة الاولى وحالوا بينه وبين الشعب قبل ان تؤثر فيه كلماته السمحية ذلك ان كلام يسوع كان عذباً رقيقاً . وكان صوته مؤثراً في النفوس وبلاغته تشدق ندفاً . وكان اسلوبه في الكلام والخطابة واضحاً بسيطاً سهلاً ينم على ما في نفسه من الهدوء والرزانة وحب نصره الضعفاء . فكان صوته يفعل في نفس الشعب فعلاً غريباً وكلامه ينطبق انطباقاً عظيماً على ما في نفوسهم وتصوراتهم البسيطة اللطيفة . وذلك بخلاف ما كان عليه منعاظ اليهود يومئذ من الكلام الجاف الناشف الذي لا يؤثر في النفس ولا يحركها . وهكذا لم يمض وقت طويل حتى صار للعلم الشاب سلطة كبيرة على الشعب . وكان قد حصر تعليمه في بحيرة طبريا وشواطئها وكانت تلك الجهات يومئذ في احسن حالات الخصب والاقبال خلافاً لما هي عليه اليوم من الخراب والجفاف . ويجدر بنا هنا ان نصفها وصف من زارها وراها

كان على شواطئ بحيرة طبريا في ذلك الزمان خمس مدن صغيرة خلد التاريخ امماها كما خلد اسمي رومه واثينا . وهذه المدن هي مجدله ودلانوثة وكفر ناحوم وبيت صيدا وكورزين . اما الآن فلم يعد معروفاً من تلك المدن الصغيرة غير مدينة مجدله التي منها مريم المجدلية رفيقة يسوع وهي اليوم قرية حقيرة . واما باقي المدن المذكورة فقد طمس الزمان آثارها . فان دلانوثة مجبولة المكان وغير بعيد ان تكون كورزين مدفونة تحت التراب في الجانب الشمالي . بقيت كفر ناحوم وبيت صيدا وقد ظن بعضهم انها كانتا حيث اليوم تل موم وعين التين وخان منيه والعين المدورة ولكن ذلك افتراض لا دليل عليه . فكان كل شيء في تاريخ الحوادث المسيحية ساعد على اخفاء آثار صاحب الشريعة الاولى ومن المحتمل ان لا يكشف البشر في مستقبل الزمان تلك الآثار التي تود الانسانية كلها ان تفقد وتقبل مواطئ قديمي السيد فيها

ولم يبقَ في تلك الجهات من تلك المدن المذكورة غير البحيرة والشجيرات الصغيرة وازهار البرية وجو السماء . اما الاشجار فقد انقرضت كلها مع ان تلك الجهات كانت مشهورة بالخصب حتى ان يوسفوس عدّ خصبها في تاريخه من العجائب لانه كان يجتمع في ارضها الشجر التي تنمو في الاقاليم الباردة والشجر التي تنمو في الاقاليم الحارة والشجر التي تنمو في الاقاليم المعتدلة ولذلك كان الزهر دائماً فيها . واما الآن فيكفي للدلالة على ما فيها من الخراب والجفاف ان يقال ان السكان يبحثون قبل سفرهم فيها بيوم واحد عن المكان الذي يستطيعون ان يجدوا فيه شجرة واحدة تظللهم من الشمس في اثناء سفرهم . وقد اصبحت شواطئ البحيرة فقراء ولم ارَ عليها حين زيارتي لها سوى زورق واحد صغير يروح ويحيي فوق امواجه التي كانت من قبل تجتمع السفن والناس فيها يلعبون ويضحكون ويتزهون ويتصيدون . ولكن مياه البحيرة لا تزال كما كانت صافية خفيفة . وعلى البحيرة اسراب كثيرة من الطيور السابحة تتداعب فيها . اما حرارة الجو على شواطئ البحيرة فانها ثقيلة محزنة . وتخفّض هذه البحيرة عن سطح البحر مائة وثمانين متراً كما قدره المستر فيني . وان الذي يزورها ويمس بها في جوها من الحرارة المحرقة يستغرب انها كانت في الزمن الماضي مركزاً لحركات عظيمة لان حرارة الجو في مكان تخدمه سكاكته . ولكن يوسفوس روى ان هوائها كان معتدلاً في ذلك الزمان . ولا غرابة في ذلك فان الخصب الذي كان فيها من حيث نمو الاشجار والنبات جدير بان يلطف الهواء ويخفف وطأة « المناخ » . ولعله قد حدث في جوها من التغيير ما حدث في جو برية رومة من هذا القبيل . واما اسباب الجفاف الحالي والخراب الحاضر فهي الحروب الصليبية . فانه بعد انقلاب الصليبيين عملت عوامل الخراب في تلك الجهات فاكت الاخضر والهشيم . فهل درت ارض جنيساره حين كمان يمشي عليها السيد وتلامذته ان هذه الاندام الخفيفة ستكون سبباً في خرابها الآتي . هل علمت الاماكن التي كانت وطناً ليسوع انها ستبتاع مجدداً وشهرتها الخالدة بخرابها وفنائها من الوجود

فعمل المسيح اذاً كان مقصوداً في بدء الامر على هذه المدن الخمس الصغيرة . ولا يمتثل ان يكون المسيح قد دخل الى مدينة طبرية لان اكثر سكان هذه المدينة كانوا من الوثنيين وفيهم النينقييون والسوريون والعرب واليونانيون . وكانت هذه المدينة مقام الحاكم انتيباس والي بيريا والجليل وساجن يوحنا المعمدان . ولكن يسوع كان كثيراً ما يرحل عن تلك الجهات المحبوبة اليه فيركب زورقاً الى شاطئ البحيرة الشرقي فيزور

جرجسه مثلاً او يسير في الجانب الشمالي الى قيصرية فيلبس في سفح جبل حرمون . ولقد سار مرة الى صور وصيدا المدينتين الفينيقيتين وكانتا يومئذ في ابان مجدهما وغوهما . وغير بعيد ان يكون قد زار في قيصرية مغارة بانيوم التي كانوا يزعمون بان نهر الاردن ينبع منها والهيكल الرخامي البديع الذي بناه هيرودس الكبير قريباً من هناك اكراماً لاغسطس قيصر . ولكنه لم يكن يرتاح الى هذه البلاد البعيدة معها كان عزها ولذلك كان يسرع الى شاطئ جنيساره المحبوب اليه في وسط تلك الطبيعة الضاحكة التي ربي فيها

الفصل الثامن . تلامذة يسوع

ففي هذا المكان الذي يجوز ان يلقب قطعة من الجنة لان كل شيء فيه كان هادئاً جميلاً لعدم وصول الثورات التي قلبت وجه العالم اليه — في هذا المكان كان يعيش شعب هادئ نشيط مستقيم طروب للحياة ولذتها واخلاقه منطبقة على الطبيعة التي حوله . وكانت بحيرة طبرية مشهورة بكثرة سمكها فكان السكان يصطادون منه كثيراً وقد انشأوا في كفر ناحوم وبيت صيدا مصائد عظيمة عادت عليهم بسعة الرزق وكثرة الخيرات . وكانت معيشة هؤلاء الصيادين الطف معيشة وأبسطها وكانوا مرتبطين بعضهم ببعض برباط القربى لانهم كانوا يتزوجون بعضهم من بعض . ولم يكن قد دخل الى بلادهم شيء من آثار المدنية اليونانية والعالمية ولكن عاداتهم كانت حسنة واخلاقهم هادئة وربما كانوا يشبهون سكان جبل لبنان في هذا الزمان . ففي هذا الوسط اقام يسوع وترك وطنه الناصرة لانه لم يجد فيها الاكرام الذي كان من حقه . وفي ذلك يقول « ليس لني كرامة في وطنه »

وكان في كفر ناحوم بيت امتاز باكرام السيد وهو لصيادين يدعيان اندراوس وسمعان بطرس فاقام يسوع فيه رخي البال مكرماً محترماً . وكان فيها بيت آخر لزبدة وكان له ولدان يعقوب وبوخنا وامراً تدعى صالومه كانت اشد الناس اتباعاً للسيد . وذلك ان النساء كن كثيرات الاكرام لیسوع لان جماله المهيّب ولطفه وحسن معاملته لمن وتحذره في الكلام معهن كانت تجذب القلوب اليه . ولم يكن الانفصال تاماً بين الرجال والنساء في القرى اليهودية كما كان في المدن ولذلك انضم الى تلامذة المسيح ثلاث من النساء فازداد بهن نادي يسوع جمالاً ورواء . وكان فيهن واحدة من مجلد وهي مريم المجدلية

وكانت من عصابات المزاج الشديداً التآثر والانفعال فسكن يسوع بنظره الهادئ، اللطيف وجماله الطاهر نفس هذه المرأة المضطربة . ثم انضم الى تلامذته متى وفيليبوس وثثنائيل وتوما وغيرهم وفي جملتهم يهوذا الخريوطي نسبة الى خريوط وهي قرية في اقصى جنوبي بلاد اليهودية على مسيرة يوم من حبرون . وكان جميع تلامذته من اهالي بلاد الجليل الا يهوذا هذا

اما نسبة التلامذة بعضهم الى بعض فقد كانت واحدة . فان السواء كان عاماً في هذه الهيئة الناشئة . وكل واحد يجب عليه ان يلقب الآخر « اخاه » اما لقب « ربي » الذي معناه معلم ولقب « ابي » فقد كانا محرمين بينهم لانه ما من معلم غير يسوع وما من أب غير الله . والكبير فيهم يجب ان يكون خادمهم . ومع ذلك فقد امتاز منهم بطرس باهميته من حيث علاقته بيسوع . فان السيد كان يقيم في منزله وكان يعظ في سفينته فكان منزله وسفينته مركزاً للوعظ والتعليم . وكان بطرس رجلاً مستقيماً مخلصاً بسيطاً يندفع لاول اشارة من السيد فكانت هذه الاخلاق تعجبه كثيراً . فالظاهر ان صالومه امرأة زبدة حسدت بطرس على مقامه فانفردت في ذات يوم بالسيد وسالته ان يجعل ولديها في المنزلة الاولى بعده . فاجابها يسوع ان الذي يروم الاستعلاء يسقط وان ملكوت الله للمتواضعين . وبذلك صرفها عن طلبها . ولما درى باقي التلامذة بما سالته صالومه استافوا جداً منها

فما مر يتضح ان اكثر تلامذة المسيح كانوا صيادي سمك . ولكن لم يكن لصيد السمك في الجليل في ذلك الزمان الشأن الحقيق الذي له في هذا الزمان . ولم يكن من بين العشارين في تلامذة يسوع غير لاوي وربما الرسول متى ايضاً . وكانت وظيفة العشارين اي جباة الضرائب مكروهة الى اليهود في ذلك الزمان اشد كراهة لما تقدم من مقههم الضرائب والاعشار لانها دليل على عبودية الانسان للانسان . وكان احدهم اذا رضي وصار عشاراً قطع اهله ورفاقه كل علاقة لهم معه ومنعوا الناس من معاملته والذهاب الى صندوقه لاستبدال نقودهم منه كما ورد في المشنا . وكانوا يعدون العشارين مستخذي الجرك وما اشتهبهم في جملة اللصوص والادنياء وقطاع الطرق واذا توفي واحد منهم داودى كانت وصيته فاسدة . وكانت الطريق الرومانية الكبرى الموصلة بين عكا ودمشق الشام والتي هي من اقدم الطرق في العالم تمتد في الجليل بجانب بحيرة طبرية كما روى الانجيلي متى (الاصحاح الرابع عدد ١٣-١٥) وكانوا يسمونها في زمن الحروب الصليبية « طريق

ماريس . فكان يمر في هذه الطريق كثيرون من مستخدمي الجرك والعشارين . وكان في جملتهم عشار يدعى لوي فأتى يسوع ودعاه الى مائدته فاجابه يسوع وذهب الى مائدته مع تلاميذه . فكان لذلك تاثير عظيم في نفوس كهان اليهود كما جاء في التلمود . اما يسوع فلم يبال لانه اراد بذلك ان يدهم على ان الله لا يطلب من البشر سوى طهارة القلب ونقاء الباطن

الفصل التاسع . التعليم على الجبيرة

تلك كانت الحلقة التي كانت تحيط بيسوع على شواطئ بحيرة طبرية . وكانت جودة الهواء في تلك الجهات تجعل حياة هؤلاء البسطاء الودعاء عيداً دائماً . فانهم كانوا في النهار يركبون بحيرة تهزم امواجها كما تهز الام سرير اولادها وفي المساء يجلسون او يستلقون على شاطئها يتحدثون ويتباحثون . فكانت معيشتهم كلها في الخلاء والهواء . وكان التلاميذ يقطنون في ذلك الاوان زهرة تعاليم السيد اول نبتتها ويتمتعون بارجها . وكان اذا بدا في نفس احدهم شك او ريب ازال المعلم العظيم ذلك الشك بنظرة واحدة لطيفة او ببسمة واحدة . وكل غمامة كانت تمر في جو السماء وكل حبة كانت تنبت امامهم في البرية وكل سنبلة كانت تنضج وتصفير في الحقول كانت دليلاً على تقدم العالم ودنو ملكوت الله . وكانوا في هذه الزهات الجميلة يسمعون من فم المعلم العظيم هذه التعزية الكبرى التي يزول العالم ولا تنزل

« طوبى للمساكين بالروح لان لهم ملكوت السماوات »

« طوبى للخرافى لانهم يتعزون »

« طوبى للودعاء لانهم يرثون الارض »

« طوبى للجياع والعطاش الى البر لانهم يشبعون »

« طوبى للرحماء لانهم يرحمون »

« طوبى للانقياء القلب لانهم يعاينون الله »

« طوبى لصانعي السلام لانهم ابناؤ الله يدعون »

« طوبى للمطرودين من اجل البر لان لهم ملكوت السماوات »

وكان تعليمه حلوّاً ياخذ بمجامع القلوب وشبيهاً في ريمه بريح الازهار في الحقول . وكان يسوع يحب هذه الازهار حباً شديداً ويمثل بها . وهو اول من ابتدع الوعظ بالامثال اللطيفة الجميلة . نعم ان في الكتب البوذية كثيراً من الامثال تشبه الامثال المسيحية

ولكن لم يبق دليل قط على انه كان للديانة البوذية تاثير على الديانة المسيحية او كان لها علاقة بها

وكانت الطبيعة في الجليل بسيطة والهواء معتدلاً والعمل في زراعة الارض لا يأتي باجرة تساوي التعب فيها فلم تكن تمس الحاجة كثيراً الى الطعام الكثير واللباس الدافئ . والعمل بل كانت القناعة والاكتفاء شعار السكان كلهم . فكان ذلك يوحى الى المعلم العظيم آيات لم يخط مثلها فلم على قرطاس فكان يقول

« لا تكتنوزوا لكم كنوزاً على الارض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون . بل اكنوزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون . لانه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك ايضاً . لا يقدر احد ان يخدم سيدين لانه اما ان يبغض الواحد ويحب الآخر او يلازم الواحد ويحنقر الآخر . لا تقدر ان تخدموا الله ومحمون (١) . لذلك اقول لكم لا تعتموا لحياتكم بما تاكلون وبما تشربون ولا لاجسادكم بما تلبسون البست الحيوة افضل من الطعام والجسد افضل من اللباس . انظروا الى طيور السماء انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن وابوكم السماوي يقوتها الستم انتم بالحري افضل منها . ومن منكم اذا اهتم بقدر ان يزيد على قامته ذراعاً واحدة . ولماذا تعتمون باللباس تاملوا زنايق الحقل كيف تنمو لا تعذب ولا تغزل . ولكن اقول لكم انه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها . فان كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويطرح غدًا في التنور يلبسه الله هكذا افليس بالحري جداً يلبسكم انتم يا قليلي الايمان . فلا تعتموا قائلين ماذا ناكل او ماذا نشرب او ماذا نلبس . فان هذه كلها تطالبها الامم لان اباكم السماوي يعلم انكم تحتاجون الى هذه كلها . لكن اطلبوا اولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزداد لكم . فلا تعتموا للغد لان الغد يهتهم بما لنفسه يكفي اليوم شره » .

فهذا التعليم وهذه المبادئ كان لها تاثير عظيم على الجمعية المسيحية الاولى . فان التلامذة صاروا يعتبرون الاهتمام بالحياة والمعيشة شراً يخنق في نفس الانسان كل خير وحسبهم ان يسالوا الله في كل يوم خبز الغد . اما كنز الكنوز وتوفير الاموال فكان امراً قريباً من

(١) * الجامعة * ممنون اله المال والكنوز المدفونة عند الفينيقيين والسوريين

القدماء

العبث . وما كان يقوي هذه المبادئ انتشار اللصوصية في تلك البلاد وكثرة السلب وقطاع الطرق كما رواه يوسيفوس . فان الغني لم يكن على ثقة من غناه ولذلك كان في خوف دائم من فقده واما الفقير فانه كان مستريح البال لانه لا يخشى من اللصوص على شيء يملكه اذ لم يكن يملك شيئاً . وبناء عليه كان الفقير كأنه اغنى من الغني . واما في هيئتنا الاجتماعية الحاضرة فان حالة الفقير لا تُحتمل . فان الغني عندنا على ثقة من ماله والخيرات والازهار والافياء لاصحاب الاملاك دون سواهم . واما في الشرق فالازهار والافياء والخيرات شائعة لكل ولا يملك صاحب الملك من الارض الا شيئاً محدوداً واما الطبيعة فانها ملك للجميع .

على ان المسيحية لم تكن في ذلك الامر الا مقلدة لطائفة الایسینیین اليهودية وهذه الطائفة كانت مقلدة لطائفة الفیثاغوریین اليونانية . وكان البخل هو الرذيلة الكبرى في اعتبار الهيئة المسيحية الاولى . والمراد بالبخل هنا اقتناء الملك والمال . ولذلك كان اول ما يجب على الذين يرغبون في اتباع السيد والانضمام الى تلامذته لينالوا ملكوت الله ان يتخلوا عن املاكهم واموالهم اما هبة للفقراء والمساكين او الى الجمعية المسيحية . واذا لم يصنعوا ذلك لم يكن لهم ان يسموا انفسهم تلامذة المسيح . فكان ذلك بمثابة « اشتراك في الملك والمال » وهو ما يدعو اليه الاشتراكيون في هذا الزمان . ولكن لم يلبث ان ظهر ضرر هذه الطريقة فان اجتماع الاموال لدى الجمعية المسيحية اوجب تعيين امين لحفظها فاخثاروا لذلك يهوذا الخريوطي ولكنه لم يلبث ان اتهم بسرقة المال المشترك .

واشد ما يكون ظهور رغبة يسوع في محق الغنى في مثل الغني ولعازر الفقير الذي كان يا كل من فئات مائدته . فان الغني حمل الى النار ولعازر الى السماء . ولماذا ذلك ؟ لان الاول غني تمتع بخيرات الارض ولم يهبها الى الفقراء . اما قولهم ان المقصود بهذا المثل هو الغني الشرير فقط فتأويل لا مسوغ له وهو من الموضوعات بعد يسوع . لا سيما وانه قد قال ايضاً : ايسر للجمل ان يدخل في ثقب ابرة من ان يدخل الغني ملكوت السموات

على انه اذا كانت هذه التعاليم ملائمة لحالة تلك البلاد يومئذ والهيئة الاجتماعية اذ ذاك فانها لم تكن ملائمة للحالة الاجتماعية في كل مكان . وقد جاء وقت رأت فيه المسيحية نفسها مضطرة الى قبول الاغنياء في حضنها . ولكن حسبها فخراً انها كانت في اول امرها مملكة الفقراء . وقد كان لقب فقير شرفاً لتلامذتها وكانوا يتلقبون به دون سواه . وقد اصبحت الشحاذة بذلك فضيلة وصناعة مقدسة . ولا يزال شيء من هذه الحالة في الديانة المسيحية الى هذه الايام . وقد كان تأثير هذا الامر عظيماً جداً ولا سيما في نفوس الطبقات السفلى

الواحة تحت احوال الحياة . فان الانجيل كان لهذه الطبقات بمثابة ثلثة في سقف سجنها ثمث منه ربح النسيم وتنظر وجه السماء . فكان لها اجمال تعزية واعظم تسلية . ولا شبهة في ان هذا الامر لا ينطبق على حالة الاجتماع ولا يوافق قواعد الاقتصاد السياسي ولكن رفع ثوب الفقير الى هذه الدرجة من السمو وجعل الفقر رمزاً الى المحبة والاخلاص امر جدير بكل اعتبار . فان الانسانية ترغب في ان تعلم انها لم تستوف حقها بقبضها اجرتها بل لها هنالك حق آخر وذلك مما يساعدها على حمل اعبائها . واعظم ما تستخدم به تعليمها انها لا تحي بالخبز فقط بل هنالك شيء آخر »

* الجامعة * وهنا نمسك القلم فقد بلغنا نصف الكتاب وقد لخصنا فصوله بما امكن من الاختصار فكل صفحة من صفحات المقالة التي تقدمت مقتطفة من عدة صفحات من الكتاب الذي نحن في صدده اي ان هذه التسع عشرة صفحة ملخصة من اكثر من مائتي صفحة كبيرة منه . وسناتي على بقية هذا الكتاب الخطير في مقالة تالية ثم نردفها برودد الموائف على مناظره الذين حملوا عليه حملات منكرة حين صدور كتابه وبراي الجامعة في هذا الموضوع . وكل آت قريب

الاستاذ ضومط وسوريا الحديثة

لما قرأتُ في العدد الاخير من الجامعة خطبة جناب الاستاذ الفاضل جبرافندي ضومط عن « سوريا القديمة والحديثة » ذكرت قول الجامعة عند تقريرها كتابه (فلسفة البلاغة) في سنة ١٨٩٩ (الجزء ١٥ السنة الاولى القسم الثاني) وهذا نصه « وانه يطيب للذين يغارون على العلم في الشرق في وسط هذه الفوضى العظيمة فوضى الطبع والنشر في مصر والشام ان يروا في المطابع حيناً بعد حين كتاباً كهذا الكتاب . فانهم يستدلون به على وجود طبقة مستترة من العلماء والكتاب تطلب العلم الصحيح لذاته وهي فيه راسخة القدم منصرفة الى درس فروعه واتحاف الشرق بمباحث جديدة مفيدة كل بحسب استعداده وفطرته . وعندنا ان هذه الكتب المفيدة التي ينشرها بعض علمائنا الحين بعد الحين تعزي بعض التعزية عما في عالم المطبوعات الآن من المضحكات والمبكمات »

ولكنني بعد اعادة هذا الثناء على فضل الاستاذ ارى من الواجب ان ابحث في مسألة

في غاية الاهمية وردت في ختام خطابه . ولولم يكن حضرة الخطيب ممن تدوي اصواتهم في الانظار ويرجع الناس الى آرائهم وعلمهم لالتزمت الصمت فكم بين آراء الجرائد والكتاب والخطباء من آراء جديرة بالقرض لا بالرد ومع ذلك فلا يهتم احد لها . وبعد هذه المقدمة اقول .

ان جناب الخطيب قال في ختام كلامه « ان اركان التقدم الطبيعية الحقيقية بعد الركن الذي ذكرناه (العلم) انما هي التجارة والصناعة والزراعة » « وان على هذه الاركان الثلاثة واخصها الاول قامت عظمة سوريا في الماضي » فاذا ارادت سوريا النهوض من عثرتها فعلى اي ركن من هذه الاركان يجب ان تعتمد . اعلى التجارة ؟ « كلا ذلك زمن قدمضى الان ولا سبيل اليه في الوقت الحاضر . اقتستطيعون ان تقلبوا هيئة العمران الحاضر ؟ استطيعون ان تمحووا من الوجود اميركا الشمالية والجنوبية وافريقيا واستراليا وبقية جزر المحيط ؟ استطيعون ان تخفوا عن اعين اهالي اوروبا طريق راس الرجا الصالح وتردمون نزع السويس ؟ ان استطعتم كل ذلك فابدءوا بالتجارة » فعلى ماذا تعتمد سوريا اذا . اعلى الصناعة « ولكن اي صناعة تعنون . اصناعتكم ام الصناعة الاوروبية القائمة بها تجارتهم » هل « فانكم ان الصناعة الاوروبية تحتاج الى مثل التجارة الاوروبية لتقوم بها والا فتسقط لا محالة » « وقد راينا قبيل الآن ان ابواب هذه التجارة موصدة في وجوهنا ومن المحال علينا فتحها الان فدعونا اذن من التعللات والتشبهات والاحلام التي لا تجدينا نفعا وتعالوا بنا الى الحقيقة الزاهنة » تعالوا بنا الى الزراعة فليس سواها من وسائل النجاح امامنا الآن

فيؤخذ من هذا القول البليغ ان ابواب التجارة مسدودة دوننا لثلاثة اسباب (١) ان الغرب قد وجد تجارته طرقا اخصر من طرق سوريا فانصرفت تجارته عنها بعد ان كانت هذه البلاد في الزمن القديم صلة بين الشرق والغرب (٢) ان الغرب صار يصنع في بلاده البضائع التي يحتاج اليها ولا يطلب من الشرق الا المواد الاولية التي لا توجد في الغرب اي ان الصادرات اليه من الشرق انما هي جزء صغير بالنسبة الى الصادرات منه الى الشرق . وبذلك صار الشرق مغبوتا في هذه المبادلة وانصرف الربح التجاري الى الجيوب الغربية (٣) ان كل دولة من الدول تحمي تجارة رعاياها بكل قواها ولو افضى ذلك الى الحرب ولذلك قالوا ان الحروب في هذا الزمان صارت حروبا اقتصادية . اما الدولة العلية العثمانية فلا سبيل لها الى حماية تجارة رعاياها لما بينها وبين الدول من المعاهدات المجحفة بحقوقها وحقوقهم . ولقد

ارادت منذ سنتين حماية تجارتها (الداخلية لا الخارجية) بزيادة رسوم البضائع الاوربية
 ٤ في المائة على ما اذكر فقامت قيامة الدول عليها
 ثم انه كما انه ابواب التجارة مقفلة دوننا فكذلك ابواب الصناعة لانه كما قال الخطيب
 واجاد « ان الصناعة تحتاج الى مثل التجارة الاوربية لتقوم بها والا فتسقط » اي انها
 تحتاج الى الوسائل السياسية والتجارية والعسكرية الموجودة لدى الامم الاوربية . فاذا
 نصنع بصناعتنا اذا كنا لا نقدر على نشرها بالقوة في مستعمرات العالم كما تصنع الدول
 الاوربية . بل هل لنا ان تكون لنا صناعة ونحن لا نقدر في بلادنا على حماية بضائعنا من
 البضائع الاوربية التي تصنع ارخص ثمناً منها واكثر اقلاناً . اذن فلا نهوض
 لسوريا بالصناعة

ولكن اذا كانت سوريا لا تنهض بالتجارة والصناعة الاسباب التي تقدمت فهل تنهض
 بالزراعة ؟ وهنا الاعتراض الذي لي على حضرة الخطيب
 قال جنابه « لا تحلوا بالشركات التجارية والصناعية وتبنون عليها عظمكم ونجاحكم في
 المستقبل فان جميع هذه اضعاف احلام » « واذا اردتم الحقيقة فوجهوا عنايتكم الخاصة الى
 الزراعة . اعقدوا الشركات لها خاصة دون سواها . اعقدوا شركات لشراء الاراضي
 واستعمارها . اعقدوا شركات للغرس وتربية الحيوان . اعقدوا شركات لانشاء الطرق بجميع
 انواعها تسهيلاً لاسباب المواصلات »

اقول . اني لا انكر فوائد هذه الامور الهامة ولا اجهل نتج الزراعة للبلاد بل
 لكل بلد ولكني ارى ان الزراعة نفسها لا تسلم من الاعتراضات التي وجهت الى
 التجارة والصناعة

فلنفترض ان الامة السورية هبت الى الزراعة في زمن من الازمان وصرفت قواها
 اليها ففقدت الشركات وانشأت الطرق وغرست الغرس وربت الحيوان ولم تفشل في ذلك
 بما في روحها من جرثومة الانقسام والتدافع . فاذا تكون النتيجة . تكون النتيجة ان البلاد
 السورية تفرق تحت سيل الحبوب المستخرجة من سهول سوريا وباللات القطن المستخرجة من
 سهول ما بين النهرين وآطنه . والخمر المستخرجة من سهول فلسطين والمواشي الناشئة في
 جبال لبنان والكرمل وسهول حاب وبغداد . وغير ذلك من المواد الزراعية . وترى البلاد
 حينئذ انه اذا لم تجد منافذ لصرف تلك المقادير الهائلة اليها ويبيعها باثمان حسنة فيها فان
 ذلك يعود عليها بالخسران والخراب ويكون كل عملها واجتهادها كصيعة في فقر هباب . فالامر

المهم اذا في الزراعة انما هو وجود « المنافذ » التي تنصرف الحاصلات اليها باثمان فيها ربح لاصحابها . فشانها في ذلك شان الصناعة تماماً . وكما ان الصناعة تسقط اذا لم تؤيدها القوة العسكرية والسياسية وتنشرها ببياذيب التجارة في جميع اقطار العالم هكذا الزراعة تسقط اذا لم تيسر لها تلك الوسائل العسكرية والسياسية لتدبر لها منافذ لحاصلاتها

ان حاكم الجزائر الجديد الميسور ريفوال يعزو استياء اهل الجزائر من حكومتهم وسخطهم عليها الى سبب واحد وهو انهم افرتوا في زراعة الكرمه افراطاً شديداً فاجتمع لديهم من حاصلات الخمر شي لم يقدروا على بيعه في الاسواق الاوروبية لكثرة فقموها على الحكومة لانها لم تدبر لهم « منافذ » لبضاعته . والحكومة الالمانية عزمت على وضع رسوم جديدة على الحاصلات الزراعية الواردة الى بلادها ارضاء لحزب الزراع فساء ذلك روسيا وعزمت على مقابلتها بالمثل اذا انفذت هذا المشروع لانه يقع بزراعها ضرراً عظيماً لاسده الاسواق الالمانية في وجه الحبوب الروسية . وقد خيف من وقوع الخفاء بين روسيا والمانيا بسبب هذه الرسوم الجديدة . وايطاليا تنادي بلسان وزير شؤونها الخارجية انني لا اجدد عهود المحالفة الثلاثية مع المانيا والنمسا الا اذا عقدتا معي معاهدات تجارية جديدة يكون فيها ربح للزراع الابطاليين . ووزير خارجية هنغاريا يحطب معترضاً على الرسوم الالمانية الجديدة وان كان له من ذلك غرض سياسي غير الغرض الزراعي . والزراع الفرنسيون يقولون عن روسيا ما هذه الصديقة التي تضع على خمرنا رسوماً باهظة منعاً لها من الدخول الى بلادها . فانت ترى مما تقدم ان المسالة المهمة في السياسة الدولية صارت عبارة عن انشاء منافذ للبضائع والحاصلات الوطنية فهل ييسر للدولة العلية العثمانية ان تجاري الدول الكبرى في هذه الطريق الكؤود

وان قيل ان مصر تصدر الى البلاد الاوروبية من القطن ما قيمته عدة ملايين جنيته وما من احد يضع العثرات في سبيل هذه الزراعة العظيمة . قلت ان القطن المصري اكثر ما يكون صدوره الى انكلترا وهي بلاد تمتاز عن سائر البلاد بحرية التجارة والمبادلة واما القطن الصادر الى غيرها من البلاد فان جماركها تاخذ عنه رسوماً فضلاً عن ان روسيا قد وضعت منذ عامين على جميع القطن الوارد اليها رسوماً جديدة تشجعاً لقطنها الذي يزرع في تركستان واواسط آسيا . بل ما لنا ول مصر واوروبا فلننظر الى سوريا نفسها نجد ان روسيا وضعت منذ سنتين رسوماً جديدة باهظة على البراقال الصادر اليها من طرابلس وبافا ما اوقع تجار هذا الصنف في ضرر شديد . فهاذا تفيد كثرة الحاصلات اذا كانت

الاسواق الخارجية تساء دونها والدولة العثمانية لا تقدر بناء على المعاهدة المجحفان
تقابل المثل بالمثل بان تزيد الرسوم على بضائع كل دولة تزيد حكومتها الرسوم على
البضائع العثمانية .

ثم هل نذكر المواشي الشامية الواردة الى مصر وما يوضع في سبيل ادخالها الى هذا
القطر من العثرات لانها تزامم المواشي القبرصية والاسترالية

فبناء على ذلك يكون نصيب الزراعة في بلادنا الموت العاجل اذا قدر لها النشوء كما
اقترح الاستاذ ولم لتغير هذه الحالة . اما اذا كان الغرض من اقتراح الاستاذ وجوب ان
تكفي البلاد نفسها فيما يخص بالحاصلات الزراعية فهذا امر حاصل الآن . فان سوريا
يخرج فيها قمحها وفولها وحمصها وعدسها وشعيرها وفاكهتها اللذيذة من تفاح جميل كحد العذراء
وبرنقال كالشهد او احلى طعاما وغيره من الفواكه والاثمار والخضر وكل حاجات معيشتها
خلافاً للقطر المصري الذي يريده من الخارج شي كثير مما تقدم وبعضه من سوريا نفسها .
فليست اذا سوريا بحاجة الى زراعة لغذيتها . ولكن الى زراعة لتغنيها . ولا غنى من
طريق الزراعة الا اذا كانت وراءها يد قوية تنشطها وتحميها . وهذا امر متعسر الآن
ان لم نقل متعذراً لاسباب عديدة اهمها ما بين الدولة والدول من المعاهدات ومن لا
يتنازلن على ما يظهر عن حرف واحد منها . فكيف والحالة هذه تكون الزراعة الركن
الوحيد لنهضة سوريا

على انني اعترف ان كلامي هذا ثقيل جداً على الاسماع . فان جناب الاستاذ الخطيب
قطع لسوريا الامل من النهضة بالتجارة والصناعة ولكنه ابقى لها الامل في الزراعة واما
كلامي انا فانه وبالاسف يقطع الامل حتى من النهضة بالزراعة . واكفي اعنقد ان توزيع
قوى السوريين على الصناعة والتجارة والزراعة معاً اكثر فائدة لهم مما لو حصروها في فرع
واحد منها . هذا رأيي واذا كنت قد اخطأت فالعصمة لله وحده

* مستفيد *

* تاريخ بني امية من اوله الى آخره * اشرفنا في صدر هذا الجزء الى نشرنا مقالة
فيد حاوية خلاصة هذا التاريخ ولكن كثرة المواد في هذا الجزء اضطررتنا الى ارجاء تلك
المقالة الى الجزء القادم

قيصران وقيصرتان

امبراطور روسيا وامبراطورنھا . امبراطور المانيا وامبراطورنھا

(اخلاقيھم)

لا نروم في هذا الفصل ترجمة جلالة قيصر روسيا وجلالة قيصر المانيا وانما نودى الاشارة الى اخلاق هذين الرجلين اللذين كثر الكلام عنهما في الشهر الاخير وتوجبت اليھا جميع الانظار

واقدر كان المؤرخ فلوطرخوس اليوناني المشهور اذا رام وصف اخلاق احد من مشاهير رجال اليونان والرومان اكتفى بسرد بعض النوادر والحكايات عنه فيدل ذلك على اخلاق موصوفة اكثر مما يدل عليه قول الواصف انه كبير صغير شجاع لطيف محب لشعبه وغير ذلك من الصفات التي تدخل من اذن وتخرج من اخرى . فلا باس ان نقنّدي هنا بفلوطرخوس ونقصر الكلام على بعض النوادر التي تدل على اخلاق كل من الاشخاص الاربعة العظام الذين نتكلم الان عنهم فان ذلك لا يخلو من فكاكة وفائدة

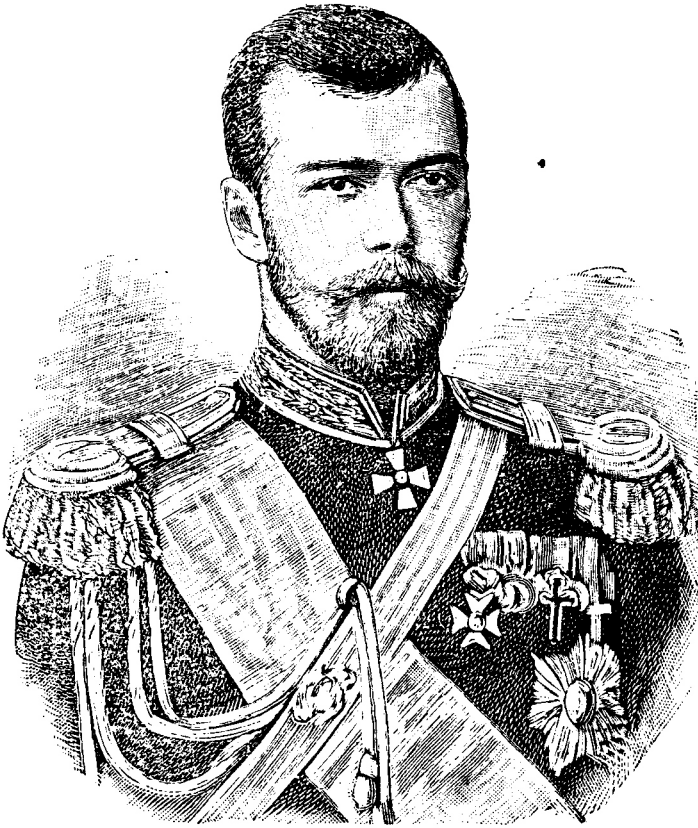
واول ما يظهر للقارىء من مقابلة قيصر روسيا بقيصر المانيا تباين غريب في اخلاقيهما فان منظر الاول هادى لطيف يدل على بساطة وتواضع وفي عينيه جمود وتامل يثبتان انه من رجال التصور . ومنظر الثاني جرىء مقدام تبدو فيه ملائح اللانفة فتدل على انه من رجال الشدة والعمل . فاحر بهما ان يكون قيصر روسيا قيصرًا لالمانيا الحكومة الدستورية المقيدة التي تستلزم امبراطورًا هادئًا محترمًا لحقوق البرلمان . وقيصر المانيا قيصرًا لروسيا الحكومة المطلقة التي تستلزم امبراطورًا شديد الشكيمة قوي القبضة

وتباينهما في الاخلاق هذا التباين يجعل بينهما فرقًا عظيمًا في كثير من الشؤون . فانه من المشهور عن الامبراطور غيليوم انه لا يمر اسبوع الا ويلقي فيه خطبة وذلك من فرط حبه للكلام واما الامبراطور نيقولا فانه يمر العام والعامان ولا نسمع له صوتًا . واذا خطب على جنوده العائدين من الصين فلا يقول لهم كما قال الامبراطور غيليوم « انكم رفعتم شان الاسم الالمانى انكم نشرتم التمدن » او « لا تاخذوا من الصينيين اسرى بل اقتلوهم وضابقوهم حتى لا يحصر احد منهم في المستقبل ان ينظر الى جندي الماني » ولكنه يقول لهم هذه العبارة البسيطة « ايها الاخوة اني اشكركم على الخدمة التي قمت بها في الصين واتمنى لكم الراحة بعد تعبكم »

وقد تهكمت إحدى جرائد برلين على الامبراطور غليوم لكثرة خطبه فصورته واقفاً امام طيور السنونو المهاجرة من المانيا يقول لها وهو رافع يديه «عودي ابتها الطيور مريعاً بسلام ليرتفع الاسم الالمانى» وغني عن البيان ان هذه الجريدة من جرائد الاشتراكيين والغريب ان هذا التباين الموجود في اخلاق القيصرين . وجود ايضاً في اخلاق القيصرتين ولكنه معكوس . اى ان قيصر المانيا اقرب في اخلاقها الى قيصر روسيا منها الى زوجها الامبراطور غليوم وقيصر روسيا اقرب في اخلاقها الى قيصر المانيا منها الى الامبراطور نقولا . يروى عن امبراطورة المانيا انها كانت جالسة في ذات يوم مع زوجها الامبراطور وهي تفحص قطع نسيج بين يديها فالتفت اليه وقالت اننى لا ارى هذه الالوان ثلاثى لاننى صرت عجوزاً واخجل من لبسها فقال لها الامبراطور فدعها اذا وغداً ارسل اليك الواناً قائمة ثلاثك . وفي اليوم التالي ورد على الامبراطورة صندوق مملوء انسجة بالوان ازهى وابهى من تلك الالوان ومعها ورقة من الامبراطور يقول فيها انه يجب ان لا تلبس الامبراطورة الا الالوان الزاهية

فكان جلاله الامبراطور غليوم ينفذ سلطته حتى في ملابس زوجته
واما علاقة قيصر روسيا بقيصرها فهي عكس ما تقدم كما يقول الاخباريون . فان الامبراطورة الكسندره ذات سلطة عظيمة على الامبراطور نقولا فلا يخالف لها امراً حتى في الشؤون السياسية . ويقال ان اكبر الناس نفوذاً في البلاط الروسى ثلاثة الامبراطورة والمسيودي وبيت وزير المالية والنائب العمومي في المجمع المقدس (السينودوس) . فكل راقية وحلم ورغبة في التقدم والارتقاء تظهر من الحكومة الروسية تكون من تاثير القيصره او المسيودي وبيت . وكل ضغط وتضييق وشدة تظهر من الحكومة تكون من تاثير النائب في السينودوس . ولعل هذه الاقوال لا تخلو من مبالغة

ومن مزايا الامبراطورة الكسندره انها لا تترك الامبراطور زوجها يخرج من القصر وحده لانها تخاف على حياته الثمينة . واحلى اوقات الامبراطور هي الاوقات التي يكون فيها مع الامبراطورة والغرائدوقات بناتها الاربع . واذا كان الامبراطور جالساً ودخل عليه احد وزرائه لشغل خاص تهم الامبراطورة بالانصراف فيسكها الامبراطور ويقول لها اجلسي فان المكان يسع ثلاثة . ولما ولدت الامبراطورة البنت الاخيرة اخذت تبكي لانها لم تلد ذكراً ليكون ولياً للعهد فبذل الامبراطور جهده في اسكانتها واطهار رضائه عنها والامبراطور نقولا حلم غريب فلما يرى في ملك سواه وهذا اعظم شرف له . روى



﴿ جلالة القيصر نقولا ﴾

المسيو بريسون في جريدة النطان ان القيصر قبل وصوله الى فرنسا في الشهر الماضي ده بحارة الدارعة سنندارد الى مائدته الخصوصية جريباً على عادته . فجاءوا وجلسوا يوماً كلون امبراطورهم . وكان بعضهم مصاباً بالدوار من شدة اضطراب البحر ولا يستطيعون الاكل فدرى بذلك الامبراطور من اصفرار وجوههم فقال لهم اذا كان احد منكم يشكو الماء او اعثلاً لا فيصعد الى ظهر السفينة لاستنشاق الهواء . فاجاب البحارة انهم لا يشكون شيئاً وذلك لانهم راءوا نهوضهم عن مائدة الامبراطور امراً لا يلبق بهم . ولكن نقولا اللطيف شعر بذلك فقال بعد هنيهة اني اشعر باعثلال فاسمحوا لي بالدخول الى غرفتي ثم قام ودخل الى غرفته لكي لا يضايقهم حضوره . فانصرف البحارة مسرورين معجبين غير ان هذا الحلم غير مقرون بضعف كما يظن القارىء . والدليل على ذلك



﴿ جلالة القيصرة الكسندره ﴾

الحكاية التالية .

قبل ارتقاء القيصر الى العرش الامبراطوري اعلن انه سيرتقي اليه برتبة كولونل (مير
الاي) بجاء عمه الغراندوق الكيس على ما نذكر واطهر له وجوب ان يرتقي الى رتبة جنرال
طبقاً للاصول . فقال له القيصر الشاب لا باس . فالح الغراندوق في ذلك . فاجابه
القيصر حينئذ « ارجوك يا عماء ان لا تنعب نفسك من اجلي فاني قادر على ترقية نفسي مني
شئت » وبذلك ايد سلطته على كل سلطة .

وعلى ذكر رتبة الكولونل التي ارتقى بها القيصر الى العرش نروي عنه نادرة ثانية . وهي



✽ جلالة امبراطور المانيا ✽

انه كان يتنزه في ذات يوم في حديقة قصره وهو لابس ملابس العسكرية التي هي ملابس كولونل . فرأى من هنالك جنرال روسي من موظفي القصر . ولما رأى الجنرال ان الكولونل الواقف امامه لا يحويه التحية العسكرية التفت اليه بهيئة رسمية وقال : لماذا لا تسلم السلام العسكري الرسمي على جنرالك ايها الكولونل . فاجاب القيصر : لانني لم ارتق الى العرش ايها الجنرال الا منذ بضعة شهور فما عرفت انك جنرال . فنصّر حالة الجنرال حينئذ وله نوادر كثيرة مع جنوده وضباطه . منها انه بلغه في ذات يوم ان بعض الضباط آلوا على انفسهم انهم لا يجالسون ولا يتحدثون كل ضابط يركب الترمواي لاعتبارهم ركوبه عاراً على الضباط ورغبتهم عنه في المركبات الفاخرة . فركب القيصر ذات يوم على غفلة من رجاله احدى مركبات الترمواي وسار الى ثكنة اولئك الضباط فقال لهم . هل تحدثون امبراطوركم ايها السادة ام لا فاني جئت بالترمواي لا في المركبة . فكادت مرائهم تنشق من الخجل .

وليس غريباً ان بنفرد قيصر روسيا هذا الانفراد ويسير في شوارع بطرسبرج وحده



﴿ جلالة امبراطورة المانيا ﴾

فانه قد اشتهر بالغائه الاحياطات السرية الغربية التي كان يتخذها القياصرة قبله لحفظ نفوسهم وصار الدخول على الامبراطور والاقتراب منه امرًا بسيطًا جدًا بالقياس الى الحالة الماضية . ولقد زار القيصر مرة موسكو فكان اذا مرَّ بشوارعها لا يرى غير حراب الجنود وقبعاتها وملابسها . فالتفت الى حاكم موسكو وقال له « ولكن اين الشعب اين الشعب فاني ما جئت لاشاهد الجنود ولكن لاشاهد شعبي » ثم صار يروح ويحيي بمركبته بين جماهير الشعب سالكا اليهم طرقًا غير الطرق الرسمية التي كانت تحف بها الجنود من كل جانب .

والقيصر نقولا يحمل على عاتقه الضعيف اعباء كل سلطنته الواسعة . فانه ينظر في جزئيات حكومته وكلياتها ولا يوقع على ورقة ما لم يفحصها فحصًا دقيقًا . وهو يسهر الى ما بعد منتصف الليل في اعماله واحيانًا تتكاثر اشغاله فتطلع الشمس عليه وهو جالس . وقد تدخل الامبراطورة عليه في الصباح فتراه متكئًا على التقارير والاوراق التي بين يديه وهو يجلس الكرى اخلاصًا من تعب . ولذلك قال في ذات يوم لبعض اخصائه انني لاريد اعدوي تعبًا كالعب الذي اعانيه في مناصبي

ولكن والاسفاه ان كثيراً من شوؤن الامبراطورية واصوات الضعفاء وظلامات المتظلمين لا تصل الى جلاله القيصر مع رغبته في النظر في كل شيء والاصغاء الى كل شكوى . وهذا شان ملازم للسلطة المطلقة التي تكون محاطة بحاشية لا توصل اليها الا ما تريد ان يصل واخر ما روي عن جلاله القيصر ما تحدث به الجرائد يوم زيارته لفرنسا في الشهر الماضي . فان الحكومة الفرنسية انفتحت على استقباله الباهر ثلاثة ملايين فرنك وجمعت لحراسة الطريق التي مرّ فيها جلالاته ٤٥ الف جندي مع ان نابوليون الاول قد انتصر في اعظم معاركه بجيش اقل عدداً من هذا الجيش . ولقد انزلته الحكومة في قصر كومبيين الامبراطوري فنام القيصر في سرير نابوليون الاول والقيصرة في سرير الملكة ماري انطوانات زوجة الملك لويس السادس عشر . ومن النوادر التي حدثت له في اثناء هذه الزيارة ان القيصر لما زار مدينة ريمس استقبله محافظ المدينة حسب العادة . ولكن هذا المحافظ كان اشتراكياً فلم يخاطب القيصر بالجلالة حسب العادة ولكنه كان يجعل لكلامه اسلوباً يغنيه عن استعمال كلمة الجلالة فكان يقول مثلاً « هل يتفضل الامبراطور ويقبل شيئاً من ثفاحنا وخمرنا » فاضطرب رجال الحكومة لذلك ولكن القيصر شعر بالامر فابتسم للاشتراكي وزاد في ملاطفته فذاق من خمره (وخله) وكان يدعو به باحضره المحافظ والمحافظ لا يقول ياذا الجلالة بل هل يريد الامبراطور ان يرى هذا . وهلمّ جرّاً . ثم شرب القيصر نخب مدينة ريمس وهو يبتسم ولم يكن يتقصه الا ان يشرب نخب جناب المحافظ . . .

ولما التقى القيصر بالامبراطور غيليوم في دنزيج والمسؤولون به رئيس الجمهورية الفرنسية في دنكرك اجتمعت من هؤلاء الرجال الثلاثة صور الحكومات الثلاث التي تحكم العالم في هذا الزمان . الاولى الصورة المطلقة يمثلها القيصر الروسي . والثانية الصورة الملكية المقيدة بالدستور يمثلها القيصر الالماني . والثالثة الصورة الجمهورية التي هي حكومة الشعب بواسطة الشعب يمثلها الرئيس الفرنسي . وجدير بحجي التفكير ان يتأملوا في هذه الصور الثلاث ويتساءلوا عن احسنها . ولكن ماذا يفيد التساؤل فان هذه القضية القديمة تختلف فيها من عهد اريسطو وافلاطون الى مونتيكيو وباكون . وذلك لان لكل واحدة من تلك الصور منافع كما لها مضار . فكان البشر لم يهتدوا بعد الى افضل هيئة لحكومة انفسهم او ان الانسان لا تصطلح احكامه الا متى صفت نفسه عن كدورات المادة والوحشية . وهذا امر لا ياتي الا بالتدريج . فالنصر فان الله مع الصابرين

ابن الغني وابن الفقير

للشاعرة المشهورة الا ويلكسكس ويلر نشرت في جريدة المجرنال في نيويورك
وعربت الى العربية بقلم الشاعر المجيد اسعد افندي رستم

وربّ نعمة جاءت تطير
تصفق بالجنّاحين ابتهاجاً
فأعطت منهما طفلاً لشخص
وآخر أودعته بيت شخص
كان الله باعنها القدير
بكلّ منهما طفلاً صغيراً
غنيّ عنده مال وكثير
فقير كلياً فيه حقير

فعاش ابن الغني على رفاه
وباهى فيه والده سواء
فاني سوف اجعله مليكاً
ويصبح آمراً برّاً وبجرّاً
فما لبث ابنه ان شبّ يوماً
فدار الارض في شرق وغرب
وسار له مع الركبان ذكر
الى ان بالنقود ابتاع يوماً
وكان يقيم في عزٍ وامن
ولكن كان يشكو الدهر دوماً
ولم يك فاعلاً لو صرن ملكاً
وللشهوات اطلق كل يوم
فاصبح منكراً لله فضلاً
ولم يطل الا له حياة
ومات فكان في عيش وموت
وكان لديه من ذهب مرير
وقال ستسمعون يا بصير
ترافقه السعادة والسرور
تدين له كما شاء الامور
وقد كادت تضيق به القصور
ودولاب الغنى معه يدور
تردده الاناثى والذكور
عروساً ما لصورتها نظير
ويحرس راسه جمع غفير
كان العيش فيه عليه نير
تضيء له الكواكب والبدور
عناناً قد يضل لمن يدير
واضنته الرذائل الشرور
فكان جزاءه العمر القصير
تعبساً مثله تحوى القبور

وأما ابن الفقير فشبّ يسعى وراء القوت وهو به جدير

وكان مهذباً فطناً رزينا
 يطيل حياته عيش رغيده
 فنوع بالقليل من العطايا
 ولا مال يزيد عليه همما
 وكنت نراه ذا جسم صحيح
 فلا مال يسير به الى حيا
 احب وقد احبته فتاة
 فما لبثا ان اقترنا وكانت
 ولما ان دنى الاجل المسمى
 تصرف حين جاءته المنايا
 واسلم امره لله طوعا
 ومات وفي محياه ابتسام

على خطوات والده يسير
 يكاد عليه يحسده الامير
 خالقه ووالده شكور
 فلم بك يستعير ولا يعير
 وذاك الحسن سيرته يشير
 ث بالامراض تغتلب الصدور
 يحاكي وجهها القمر المنير
 تمر على سعادته الشهور
 وحان له الى الاخرى المسير
 كما يتصرف الرجل الجسور
 لان رجاءه فيه كبير
 اذن فمن الغني ومن الفقير ؟

(نقلاً عن مرآة الغرب الفراء)

حجارة منقضة من السماء

﴿ الرجم ﴾

لا عجب اذا استغرب القارىء هذا العنوان فقد استغربته قبله اكاذمية العلوم في فرنسا وانكرت انقضاء الرجم على الارض . وما زالت على هذا الانكار حتى ٢٦ افريل عام ١٨٠٣ فان الرجم انقضت يومئذ على مدينة لكل في مقاطعة اورن الفرنسية في رابعة النهار والناس ناظرون فنزلت الوقا الوقا على تلك المدينة . ومنذ ذلك الحين اخذ العلماء يهشمون بهذه المسألة اهتماماً شديداً .

﴿ ماهيتها ﴾ وهذه الحجارة ثلاثة انواع . النوع الاول مؤلف من الحديد والنيكل يخاطها شيء قليل من مواد اخرى . والنوع الثاني مؤلف من مادة معدنية ومادة صخرية متساويتين في الحجم والتركيب تقريباً . والنوع الثالث مؤلف من مواد صخرية يخاطها شيء قليل من مادة الحديد والنيكل

ولقد اهتم علماء الكيمياء والجيولوجيا بهذه الحجارة اهتماماً خاصاً لانهم وجدوا انهم يستطيعون بواسطتها الوقوف على حل لبعض المسائل العلمية الكبيرة التي اعيامهم حلها . فالكيمائيون يفتحصونها لتحليل مادة الاجرام السماوية ومقابلتها بمادة الارض . والجيولوجيون يفتحصونها ليقفوا على السر العظيم نعني كيف تألفت مادة ارضنا وباقي الاجرام التي تسبح في الفضاء معها . ولذلك تجد العلماء يبدلون في جمع هذه الحجارة كل عزيز ويتعاونون باثمان طائلة ليؤلفوا منها مجموعة ترشدكم بكثرة موادها واختلافها في السبيل الذي يسلكونه

✽ الرجم القديمة ✽ وقد انتبه القدماء الى هذه الحجارة ايضاً . واول حجر اشاروا اليه في مصنفاتهم حجر سقط في جزيرة كريت في سنة ١٤٧٨ قبل الميلاد المسيحي . وقد هبط في القرن الخامس من الميلاد على شواطئ نهر اوغوس بوتاموس في نواحي بلغاريا حجر كبير « بجسم المركبة » كما قال احد مؤلفي اليونان . وكان هذا الحجر ثابتاً في مكانه



حجر نزل في بوتوسوره (الهند)

(وهو هنا ثلاث قطع مركبة بعضها فوق بعض)

في عهد الامبراطور جوستينيوس . وفي القرون التالية سقط كثير من الرجم في اوربا وآسيا فبقي ذكرها في ذاكرة الشعوب وموءلفات عدة من مؤلفي ذلك العصر ✽ الرجم الحديثة ✽ اما الرجم الحديثة فان في المتاحف كثيراً منها . وهي

متفاوتة الحجم . فبعضها صغير جداً كالبيضة او اصغر منها وبعضها كبير جداً لا يستطيع الانسان تحريكه بيده . منها حجر بالاس الذي نُقل منذ قرن من سيبيريا الى بطرسبرج وثقله ٨٠٠ كيلو غرام فاقبل الروس على مشاهدته من كل حدب وصوب وبعضهم زعم البركة فيه فصار يتبرك به . ومنها الحجر الاوسترالي المحفوظ الآن في المتحف الانكليزي وثقله ١٦٠٠ كيلو غرام . والحجر البرازيلي المشهور في مديكو وثقله من ٨ الى ١٢ الف كيلو غرام . وقد حاول الناس نقله فلم يقدروا على ذلك من ثقله

وقد سقطت في ٢٦ مايو عام ١٧٥١ في مدينة اغرام قاعدة ولاية كرواتيا في هنغاريا قطعة من الحديد والنيكل زنتها ٤٠ كيلوغراماً . وفي ١٤ يوليو من عام ١٨٤٧ سقطت قطعة على سقف منزل في برانان من اعمال بوهيميا فاخترقت سقف البيت وغاصت في الارض . فتصور صراخ اهل المنزل وخوفهم . والرجم مستمرة الانقراض في كل يوم تقريباً ولكن بعضها نراه وبعضها لا نراه

* من اين تأتي تلك الحجارة * والان لا بد ان يسال القارىء من اين تأتي هذه الحجارة فتجيبه ان اهل العلم مختلفون في مصدرها . ولكن اكثرهم على انها بقايا اجرام ساوية قديمة كانت سابحة في الفضاء طوعاً لجاذبية الاجرام التي تجذبها اليها فتارة تكون هنا وتارة هناك حتى تغلب عليها جاذبية بعض الاجرام فتجذبها اليها فتحمي لسرعة انقراضها في الفضاء وتطير شذر مذر فتصل بقاياها الى الجرم الذي جذبها . وهذا الرأي راى ستانسلاس مونييه وما يدعون به هذا الرأي ان بعثة علمية اسوجية اكتشفت في عام ١٨٧٠ في اوفيناك على شاطئ جزيرة ديسكو في سفح صخرة بركانية شاهقة على شاطئ البحر ثلاث قطع ضخمة من الحديد وكثيراً غيرها اصغر حجماً منها . فاهتمت الحكومة الاسوجية بالامر وبعثت سفنها الحربية فنقلت هذه القطع الى اوربا وفي جملتها قطعة ثقلها ٢٤ الف كيلو غرام وهي اعظم قطعة وجدت الى الآن . وقد حسب العلماء في بدء الامر ان هذه القطع الحديدية رجم سقطت من السماء ولكن العالم نوردنسكيولد الذي ذهب هذا المذهب اولاً عاد فافتنع كل الافتناع بان تلك القطع الحديدية كانت مقذوفة من جوف الارض الى سطحها بشوة بركانية . ثبت بذلك ان الاجرام السموية التي تحتل جاذبيتها في الفضاء وتنجذب الى جرم اقوى منها لتطير شظايا تاربها وصخورها في سقوطها ويحترق بعضها ويصل الى الارض او الى الجرم الجاذب ما في جوفها من المواد المعدنية التي تتحد بشيء من تاربها بقوة النار . فالحجارة الساقطة اذا تكون من جوف الاجرام الفانية لا من سطحها والله اعلم

ولقد نشرنا في هذه المقالة رسم قطع حجر سماوي نزل في بوتوسوره في الهند في ١٢ مايو من عام ١٨٦١ وأكثره من الحديد والنيكل كما يرى القارىء . ولكن من اي جرم سماوي انفصل هذا الحجر . وهل كانت امه ماهولة او غير ماهولة . واذا كانت ماهولة فهل كان بشرها ارفى من بشر الارض او اذى اخلاقاً . وهل كان عندهم سجون تعذب الناس وثكنات عسكرية تجمع الشعب لتحمله السلاح وتعلمه قتل قريبه تاركة الحقول والادوية بلا زرع ولا ضرع . ورجال تسد ابواب الحياة في وجوههم فيجعلون انفسهم فوضويين . ونساء لا تعني الهيئة الاجتماعية بهن وباولادهن فيبعن شرفهن ليا كن به خبزاً . ورؤساء شرمون لا هم لم غير انفسهم . ومروسون ضعفاء يساقون بالسياط كالانعام السائمة . وكل شيء فيها صغير وضعيع في نظراهلها الا الذهب والقوة المادية — هل كان فيها شيء من كل ذلك — الله اعلم

صفحة الشعر

ديوان

* حافظ افندي ابراهيم *

اذا كان احمد بك شوقي متنبى مصر فان حافظ افندي ابراهيم ابو تمامها . واذا قابلت بين ما نشرناه من مختارات شوقي بك في الجزء الثاني من السنة الاولى ومختارات حافظ افندي التي نشرها الآن ورأيت رقة الاول وحذره في شعره ووثبه فيه حيناً بعد حين الى اعلى قم الفكر ورأيت فصاحة كلام الثاني ومتانته واندفاعه بأسلوب عسكري حتى قال فيه واصف مجيد انه يكتب بحسامه لا بقلمه — علمت صحة التشبيه الذي تقدم . فالاول شاعر الحضارة والثاني شاعر البداوة وكل منهما سباق في فنه

ولقد نشر جناب حافظ افندي ابراهيم ديوانه وقدم له مقدمة رائعة عرف به الشعر تعريفاً مبتكراً . ومما قاله فيها ان « خير الشعر ما سبق ديبه في النفس ديب الغناء ثم سبج بهافي عالم الخيال فاراها جميلاً وهو يرنو الى بشينة ويقول

وكم قلت في شعري لكم وصابقي احاديث شوق شرحهن بطول
فان لم يكن قولي رضاك فعلي نسيم الصبا يا بن كيف اقول